



التحذير من ظاهرة العقوبة

خالد بن محمد الأنصاري

يعد العقوبة للوالدين من كبائر الذنوب الموجبة للعقوبة في الدنيا والآخرة؛ وهو قرين الشرك قال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}.

وقد ثبت من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر فقال: «الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوبة الوالدين».

وفي هذه الأيام انتشرت ظاهرة «العقوبة» من الأبناء للآباء والأمهات؛ وذلك بالخروج عن طاعتهم، وإهمال حقهم وفعل ما لا يرضيهما، بالجحود لفضلهم، ونكران الجميل لهما؛ وهذا كله دليل على سوء الخلق، ودناءة النفس، وحقارة الشأن، مما يجعل الابن العاق يضرب والديه، أو يشتم أحدهما، أو يقوم بحمله إلى دار العجزة بعد طرده من منزله، طاعة لزوجته أو طمعاً في ثروته.

وهذا يعود في نظري لعدة أسباب من أبرزها:

1 - ضعف الوازع الديني لدى الأبناء.

2 - حب الذات.. والكبر.

3 - رفقاء السوء.

4 - ثقافة الفضائيات السلبية.

5 - التوسيع في المبالغات.. والتعلق بالدنيا.

وهذه ظاهرة خطيرة ينبغي على الدعاة إلى الله تعالى التنبيه عليها؛ وتحذير أفراد المجتمع من الوقوع فيها، وكذلك خطباء المساجد، والمعلمين في المدارس والجامعات؛ وأصحاب الأقلام من الكتاب والإعلاميين، فالجميع يشترك في التصدي لهذه الظاهرة الغربية.

وإن البر بالآباء والأمهات هو سبيل السعادة والفلاح في هذه الدنيا، وطاعة الوالدين هي مسلك النجاة في الدار الآخرة.

وقد قرر الله تعالى حق الوالدين بحقه فقال عز وجل: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِلَيَّهٖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يُلْعَنُ عِنْدَكُمُ الْكُبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كُلَّاهُمَا فَلَا تَنْهَلُ لَهُمَا أَفَ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قُوْلًا كَرِيمًا * وَأَفْضُلُ لَهُمَا جَنَاحُ الدُّلُّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمَهُمَا كَمَا رَبَّيَنِي صَغِيرًا}.

والبر بالوالدين من أحب الأفعال إلى الله تعالى، لما ثبت من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «الصلوة على وقتها»

قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين» قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله».

فمن كان له أبوان فليهنا ببرهما، وليس جهده في إرضائهما، ومن فجع بفقد أحدهما كما فجع فلا ينساه من دعائه؛ والتصدق عنه؛ وصلة من أحب فإن ذلك من أبر البر.

ولنستمع إليها القراء الكرام إلى هذه الأبيات التي خرجت من نفس أب شاهد عقوبة ولده فشعر بعراوة في كبده فقال:

غذوتك مولوداً ومنتك يافعاً
تعل بما أجنني عليك وتنهل

إذا ليلة ضافتكم بالسقم لم أبت
لسقمعك إلا ساهراً أتلملل

كأنني أنا المطروق دونك بالذي
طرقت به دوني فعيني تهمل

فلما بلغت السن والغاية التي
إليها مدي ما كنت فيك أؤمل

جعلت جزائي غلطةً وفطاظةً
كأنك أنت المنعم المتفصل

فليتك إن لم ترع حق أبويتي
فعلت كما الجار المصاحب يفعل

فأوليتني حق الجوار ولم تكون
عليّ بمال دون مالك تبذل

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في آخر فصل في كتابه «الواسطية» جماع مكارم الأخلاق التي يتخلق بها أهل السنة والجماعة فذكر منها «ويأمرون ببر الوالدين».

وذلك لعظم حقهما ومكانتهما: فبرهما من أفضل القربات؛ فهو قربن التوحيد؛ وطريق التوفيق والسعادة؛ ومن أسباب بر الأبناء وصلاحهم؛ لما ثبت من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بِرُّوا آباءَكُمْ تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ».

عليك ببر الوالدين كليهما
وبر ذوي القربي وبر الأبعد

خالد بن محمد الأنباري